❁ ❁ ❁

تفسير سورة القارعة

وهي مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ .

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة ، والطامة ، والصاخة ، والغاشية ، وغير ذلك . ثم قال معظماً أمرها ومهولاً

لشأنها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ أي: في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، كما قال في الآية الأخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. وقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ يعني: قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق. قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والضحاك، والسدي: ﴿كَٱلْعِهْنِ﴾: الصوف. ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ يعني: في الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته. وقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ قيل: معناه: فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم. وعبَّر عنه بأمه ـ يعني دماغَه ـ رُوي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة. قال قتادة: يهوي في النار على رأسه. وكذا قال أبو صالح: يهوون في النار على رؤوسهم. وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ ـ التي يرجع إليها، ويصير في المَعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾، وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير: وإنما قيل: للهاوية أمه؛ لأنه لا مأوى له غيرها. وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١]. قال ابن أبي حاتم: وروي عن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم. ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾. قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور، عن مَعْمَر، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: رَوِّحُوا أخاكم، فإنه كان في غَمّ الدنيا. قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية. وقد رواه ابن مَرْدَويه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً، بأبسط من هذا. وقد أوردناه في كتاب صفة النار، أجارنا الله منها بمنه وكرمه. وقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ أي: حارة شديدة الحر، قوية اللهيب والسعير. قال أبو مصعب، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم». قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال: «إنها فُضِّلَت عليها بتسعة وستين جُزءاً». ورواه البخاري، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. ورواه مسلم عن قُتيبة، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزِّناد، به. وفي بعض ألفاظه: «إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرّها». وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن محمد بن زياد ـ سمع أبا هريرة يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «نار بني آدم التي توقدون، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقال رجل: إن كانت لكافية. فقال: «لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حراً فحراً». تفرد به أحمد من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم.

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هُريرة، عن النبي ﷺ ـ وعمرو، عن يحيى بن جَعْدة ـ: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد». وهذا على شرط الصحيحين، ولم يخرجوه من هذا الوجه، وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن أبي الزناد. ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً». وقد قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز ـ هو ابن محمد الدراوردي ـ عن سُهيل عن أبيه، عن أبي هُريرة، عن النبي ﷺ قال: «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم». تفرد به أيضاً من هذا الوجه، وهو على شرط مسلم أيضاً. وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو الخلال، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز، عن مالك، عن عمّه أبي سُهَيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لهي أشد سواداً من دخان ناركمْ هذه بسبعين ضعفاً». وقد رواه أبو مصعب، عن مالك، ولم يرفعه. وروى الترمذي وابن ماجه، عن عباس الدُّوريّ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر: حدثنا شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة». وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب. وجاء في الحديث ـ عند الإمام أحمد ـ من طريق أبي عثمان النَّهدي، عن أنس ـ وأبي نضرة العَبْديّ، عن أبي سعيد وعَجْلان مولى المُشْمَعّل، عن أبي هريرة ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه». وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بَنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف. فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها». وفي الصحيحين: «إذا اشتد

الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فَيح جَهَنم».

آخر تفسير سورة «القارعة»

❋ ❋ ❋

(١٠١) سورة القارعة مكية
وآياتها إحدى عشرة

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) فكأنه قيل وما ذلك اليوم ؟ فقيل هي القارعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القارعة ، القارعة ، ما القاعة وما أدراك ما القارعة ﴾ اعلم أن فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ القرع الضرب بشدة واعتماد ، ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة ، قال الله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) ومنه قولهم : العبد يقرع بالعصا ، ومنه المقرعة وقوارع القرآن وقرع الباب ، وتقارعوا تضاربوا بالسيوف ، واتفقوا على أن القارعة اسم من أسماء القيامة ، واختلفوا فى لمية هذه التسمية على وجوه (أحدها) أن سبب ذلك هو الصيحة التى تموت منها الخلائق ، لأن فى الصيحة الأولى تذهب العقول ، قال تعالى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) وفى الثانيـة تموت الخلائق سوى إسرافيل ، ثم يميته الله ثم يحييه ، فينفخ الثالثة فيقومون . وروى أن الصور له ثقب على عدد الأموات لكل واحد ثقبة معلومة ، فيحيي الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة إليه من تلك الثقبة المعينة ، والذى يؤكد هذا الوجه قوله تعالى (ما ينظرون إلا صيحة واحدة ، فإنمـا هى زجرة واحدة) (وثانيها) أن الأجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديداً عند تخريب العالم ، فبسبب تلك القرعة سمى يوم القيامة بالقارعة (وثالثها) أن القارعة هى التى تقرع الناس بالأهوال والإفزاع ، وذلك فى السموات بالانشقاق والانفطار ، وفى الشمس والقمر بالتكوير ، وفى الكواكب بالانتثار ، وفى الجبال بالدك والنسف ، وفى الأرض بالطى والتبديل ، وهو قول الكلبى (ورابعها) أنها تقرع أعداء الله بالعذاب والخزى والنكال ، وهو قول مقاتل ، قال بعض المحققين وهذا أولى من قول الكلبى لقوله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى إعراب قوله (القارعة ما القارعة) وجوه (أحدها) أنه تحذير وقد

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾

جاء التحذير بالرفع والنصب تقول الأسد الأسد ، فيجوز الرفع والنصب (وثانيها) فيه إضمار أى ستأتيكم القارعة على ما أخبرت عنه فى قوله (إذا بعثر مافى القبور) (وثالثها) رفع بالابتداء وخبره (ما القارعة) وعلى قول قطرب الخبر .(وما أدراك ما القارعة) فإن قيل إذا أخبرت عن شىء بشىء فلابدوأن تستفيدمنه شيئاً زائداً ، وقوله (وما أدراك) يفيد كونه جاهلا به فكيف يعقل أن يكون هذا خبراً ؟ قلنا قد حصل لنا بهذا الخبر علم زائد ، لأنا كنا نظن أنها قارعة كسائر القوارع ، فبهذا التجهيل علمنا أنها قارعة فاقت القوارع فى الهول والشدة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (وما أدراك ما القارعة) فيه وجوه (أحدها) معناه لاعلم لك بكنهها ، لأنها فى الشدة بحيث لايبلغها وهم أحد ولا فهمه ، وكيفما قدرته فهو أعظم من تقديرك كأنه تعالى قال : قوارع الدنيا فى جنب تلك القارعة كأنها ليست بقوارع ، ونار الدنيا فى جنب نار الآخرة كأنها ليست بنار ، ولذلك قال فى آخر السورة (نارحامية) تنبيهاً على أن نار الدنيا فى جنب تلك ليست بحامية ، وصار آخر السورة مطابقاً لأولها من هذا الوجه . فإن قيل ههنا قال(وما أدراك ما القارعة) وقال فى آخر السورة (فأمه هاويه ، وما أراك ماهيه) ولم يقل وما أدراك ما هاوية فما الفرق ؟ قلنا الفرق أن كونها قارعة أمر محسوس ، أما كونها هاوية فليس كذلك ، فظهر الفرق بين الموضعين (وثانيها) أن ذلك التفصيل لا سبيل لأحد إلى العلم به إلا بأخبار الله وبيانه ، لأنه بحث عن وقوع الوقعات لا عن وجوب الواجبات ، فلا يكون إلى معرفته دليل إلا بالسمع .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ نظير هذه الآية قوله (الحاقة ، ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة) ثم قال المحققون قوله (القارعة ما القارعة) أشد من قوله (الحاقة ما الحاقة) لأن النازل آخراً لابد وأن يكون أبلغ لأن المقصود منه زيادة التنبيه ، وهذه الزيادة لاتحصل إلا إذا كانت أقوى ، وأما بالنظر إلى المعنى ، فالحاقة أشد لكونه راجعاً إلى معنى العدل ، والقارعة أشد لما أنها تهجم على القلوب بالأمر الهائل .

قوله تعالى : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾

قال صاحب الكشاف : الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة ، أى تقرع يوم يكون الناس كذا .

واعلم أنه تعالى وصف ذلك اليوم بأمرين (الأول) كون الناس فيه (كالفراش المبثوث) قال الزجاج : الفراش هو الحيوان الذى يتهافت فى النار ، وسمى فراشاً لتفرشه وانتشاره ، ثم إنه

تعالى شبه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث ، وفى آية أخرى بالجراد المنتشر . أما وجه التشبيه بالفراش ، فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى ، يدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا ، واختلفوا فى المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة ، والمبثوث المفرق ، يقال بثه إذا فرقه . وأما وجه التشبيه بالجراد فهو فى الكثرة . قال الفراء : كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً ، وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شبه الناس فى وقت البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبثوث ، لأنهم لما بعثوا يموج بعضهم فى بعض كالجراد والفراش ، ويأكد ما ذكرنا بقوله تعالى (فتأتون أفواجاً) وقوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) وقوله فى قصة يأجوج ومأجوج (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) فإن قيل الجراد بالنسبة إلى الفراش كبار ، فكيف شبه الشىء الواحد بالصغير والكبير معاً ؟ قلنا شبه الواحد بالصغير والكبير لكن فى وصفين . أما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحدة إلى غير جهة الأخرى . وأما بالجراد فبالكثرة والتتابع ، ويحتمل أن يقال إنها تكون كباراً أولا كالجراد ، ثم تصير صغاراً كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس ، وذكروا فى التشبيه بالفراش وجوهاً أخرى (أحدها) ماروى أنه عليه السلام قال « الناس عالم ومتعلم ، وسائر الناس همج رعاع » فجعلهم الله فى الآخرى كذلك (جزاء وفاقاً) (وثانيها) أنه تعالى إنما أدخل حرف التشبيه ، فقال (كالفراش) لأنهم يكونون فى ذلك اليوم أذل من الفراش ، لأن الفراش لا يعذب ، وهؤلاء يعذبون ، ونظيره (كالأنعام بل هم أضل) .

﴿ الصفة الثانية ﴾ من صفات ذلك اليوم قوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن الصوف ذو الألوان ، وقد مر تحقيقه عند قوله (وتكون الجبال كالعهن) والنفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض ، وفى قراءة ابن مسعود : كالصوف المنفوش .

واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) ثم إنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابهاً للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً ، وههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال ، كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القرعة فى الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش ، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها ! فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه ، ويحتمل أن يكون المراد أن جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قد وصف الله تعالى تغير الأحوال على الجبال من وجوه (أولها) أن تصير قطعاً ، كما قال (ودكت الجبال دكا) ، (وثانيها) أن تصير كثيباً مهيلا ، كما قال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) ثم تصير كالعهن المنفوش ، وهى أجزاء كالذر تدخل

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾

من كوة البيت لا تمسها الأيدى ، ثم قال فى الرابع تصير سراباً ، كما قال (وسيرت الجبال فكانت سراباً) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ لم يقل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش بل قال (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) لأن التكوير فى مثل هذا المقام أبلغ فى التحذير .

واعلم أنه تعالى لما وصف يوم القيامة قسم الناس فيه إلى قسمين فقال ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ واعلم أن فى الموازين قولين (أحدهما) أنه جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله ، وهذا قول الفراء قال ونظيره يقال : عندى درهم بميزان درهمك ووزن درهمك ودارى بميزان دارك ووزن دارك أى بحذائها (والثانى) أنه جمع ميزان ، قال ابن عباس الميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال فيؤتى بحسنات المطيع فى أحسن صورة ، فإذا رجح فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر فى أقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار . وقال الحسن فى الميزان له كفتان ولا يوصف ، قال المتكلمون إن نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنهما ، خصوصاً وقد انقضيا ، بل المراد أن الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن ، أو يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات ، أو تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة ، وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سروراً ، وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق .

أما قوله تعالى ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ فالعيشة مصدر بمعنى العيش ، كالخيفة بمعنى الخوف ، وأما الراضية فقال الزجاج : معناه أى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها وهى كقولهم لابن ، وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر ، ولهذا قال المفسرون تفسيرها مرضية على معنى يرضاها صاحبها .

ثم قال تعالى ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ أى قلت حسناته فرجحت السيئات على الحسنات قال أبو بكر رضى الله عنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً ، وقال مقاتل : إنما كان كذلك لأن الحق ثقيل والباطل خفيف .

فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

أما قوله تعالى ﴿ فأمه هاوية ﴾ ففيه وجوه : (أحدها) أن الهاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة يهوى أهل النار فيها مهوى بعيداً ، والمعنى فأواه النار ، وقيل للمأوى أم على سبيل التشبيه بالأم التى لا يقع الفزع من الولد إلا إليها (وثانيها) فأم رأسه هاوية فى النار ذكره الأخفش ، والكلبى ، وقتادة قال لأنهم يهوون فى النار على رؤوسهم (وثالثها) أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا هوت أمه لأنه إذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه حزناً وثكلا ، فكأنه قيل (وأما من خفت موازينه) فقد هلك .

ثم قال تعالى ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ قال صاحب الكشاف هيه ضمير الداهية التى دل عليها قوله (فأمه هاوية) فى التفسير (الثالث) أو ضمير (هاوية) والهاء للسكت فإذا وصل جاز حذفها والاختيار الوقف بالهاء لاتباع المصحف والهاء ثابتة فيه ، وذكرنا الكلام فى هذه الهاء عند قوله (لم يتسنه ، فبهداهم اقتده ، ما أغنى عنى ماليه) .

ثم قال تعالى ﴿ نار حامية ﴾ والمعنى أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية ، وهذا القدر كاف فى التنبيه على قوة سخونتها ، نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب ، ونسأله التوفيق وحسن المآب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) .

١٠١ ـــ سورة القارعة

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْقَارِعَةُ (١) ١٠١ القارعة

مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) ١٠١ القارعة

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣) ١٠١ القارعة

حيث التفت إلى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه
* من روحه إيذاناً بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما أشير إليه هناك (بهم) بذواتهم
* وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم إذ يكون ماذكر من بعث مافى القبور وتحصيل مافى
* الصدور (لخبير) أى عالم بظواهر ماعملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلا به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك أن ربهم بهم يومئذ خبير . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً .

﴿ سورة القارعة مكية وآيها إحدى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت
شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير
سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية
والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار
٢ والانتشار والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة)
على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا
المبتدأ ولا ريب فى أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة أى أى شىء عجيب هى
٣ فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة)
تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها بحيث لا تكاد

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ١٠١ القارعة

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ١٠١ القارعة

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ ١٠١ القارعة

تنـاله دراية أحد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت فى موقع المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ماقبلها من الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ الأول أى وأى شىء أعلمك
٤ ماشأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين أى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعى كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ماهى هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أى تقرع يوم
٥ يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل الحشر وهى وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعا صفصفاً لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى الذى هو إسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل
٦ وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان إجمالى لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل والموازين إما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لايوزن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهاراً

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ١٠١ القارعة

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ١٠١ القارعة

فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ١٠١ القارعة

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ ١٠١ القارعة

نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ١٠١ القارعة

للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش
والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لايتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام
فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التى هى أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة فى هذه
النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور
٧ قبيحة فتوضع فى الميزان أى فمن ترجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) أى ذات رضا أو
٨،٩ مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه)
* أى فأواه (هاوية) هى من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها . روى أن أهل النار تهوى
فيها سبعين خريفاً وقيل إنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لأن أهلها يأوون إليها
كما يأوى الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لأنه يطرح
١٠،١١ فيها منكوساً والأول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أدراك ماهيه) (نار حامية) فإنه تقرير لها
بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية والهاء للسكت
وإذا وصل القارىء حذفها وقيل حقه أن لايدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة فى المصحف وقد
أجيز إثباتها مع الوصل . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه
يوم القيامة .

سورة القارعة

مكية بلا خلاف وآيها احدى عشرة آية في الكوفي وعشرة في الحجازى وثمان فى البصرى والشامى ومناسبتها لما قبلها أظهر من أن تذكر

﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ﴾
الجمهور على أنها القيامة نفسها ومبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق وقيل صوت النفخة وقال الضحاك هي النار ذات التغيظ والزفير وليس بشيء وأياما كان فهى من القرع وهو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد وقد تقدم الكلام فيها وكذا ما يعلم منه أعراب ما ذكر في الكلام على قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة وقرأ عيسى القارعة بالنصب وخرج على أنه باضمار فعل أى اذكر القارعة وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾
قيل أيضا منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ماهي وقال الزمخشرى ظرف لمضمر دات عليه القارعة أى تقرع يوم وقال الحوفي ظرف تاتى مقدرا وبعضهم قدر هذا الفعل مقدما على القارعة وجعلها فاعلا له أيضا وقال ابن عطية ظرف للقارعة نفسها من غير تقدير ولم يبين أى القوارع أراد وتعقبه أبو حيان بانه ان أراد اللفظ الاول ورد عليه الفصل بين العامل وهو في صلة أل والمعمول بالخبر وهو لايجوز وان اراد الثانى أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه وأيد بقراءة زيد بن على يوم بالرفع على ذلك وقدر بعضهم المبتدأ وقتها والفراش قال في الصحاح جمع فراشة التى تطير وتهافت في النار وهو المروى عن قتادة وقيل هو طير رقيق يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق وقال الفراء هو غوغاء الجراد الذى ينتشر فى الارض ويركب بعضه بعضا من الهول وقال صاحب التأويلات اختلفوا في تأويله على وجوه لكن كلها ترجع

الى معنى واحد وهو الاشارة الى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واختار غير واحد ماروى عن قتادة وقالوا شبهوا في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجيء والذهاب على غير نظام والتطاير الى الداعي من كل جهة حين يدعوهم الى المحشر بالفراش المتفرق المتطاير قال جرير

ان الفرزدق ماعلمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلى

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ أي الصوف مطلقا أو المصبوغ كما قيده الراغب به وقد تقدم الكلام فيه في المعارج وكان بمعنى صار أي وتصير جميع الجبال كالعهن ﴿ الْمَنْفُوشِ ﴾ المفرق بالاصبع ونحوها في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما ينطق به غير آية وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ الى آخره بيان اجمالي لتحزب الناس حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل وهذا اشارة الى وزن الاعمال وهو مما يجب الايمان به حقيقة ولا يكفر منكره ويكون بعد تطاير الصحف وأخذها بالايمان والشمائل وبعد السؤال والحساب كما ذكره الواحدي وغيره وجزم به صاحب كنز الاسرار بميزان له لسان وكفتان كاطباق السموات والارض والله تعالى أعلم بماهيته وقد روى القول به عن ابن عباس والحسن البصري وعزاه في شرح المقاصد لكثير من المفسرين ومكانه بين الجنة والنار كما في نوادر الاصول وذكر يتقبل به العرش يأخذ جبريل عليه السلام بعموده ناظرا الى لسانه وميكائيل عليه السلام أمين عليه والاشهر الاصح انه ميزان واحد كما ذكرنا لجميع الامم ولجميع الاعمال فقوله تعالى موازينه وهو جمع ميزان وأصله موزان بالواو لكن قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها قيل للتعظيم كالجمع في قوله تعالى كذبت عاد المرسلين في وجه أو باعتبار أجزائه نحو شابت مفارقه أو باعتبار تعدد الافراد للتغاير الاعتباري كما قيل في قوله

* لمان برق أو شعاع شموس * وزعم الرازي على مانقل عنه أن فيه حديثا مرفوعا وقال آخرون يوزن نفس الاعمال فتصور الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله تعالى وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال فتخف بعدل الله تعالى وامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات ممنوع أو مقيد ببقاء آثار الحقيقة الاولى وقد ذهب بعضهم الى أن الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك الاعمال من غير قلب لها وادعى ان فيه أثرا والظاهر ان الثقل والخفة مثلهما في الدنيا فما ثقل نزل الى أسفل ثم يرتفع الى عليين وماخف طاش الى أعلى ثم نزل الى سجين وبه صرح القرطبي وقال بعض المتأخرين هما على خلاف مافي الدنيا وان عمل المؤمن اذا رجح صعد وثقلت سيآته وان الكافر تثقل كفته لخلو الاخرى من الحسنات ثم تلا والعمل الصالح يرفعه وفي كونه دليلا نظر وذكر بعضهم أن صفة الوزن أن يجعل جميع أعمال العباد في الميزان مرة واحدة الحسنات في كفة النور عن يمين العرش جهة الجنة والسيآت في كفة الظلمة جهة النار ويخلق الله تعالى لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة أعماله وثقلها وقيل نحوه الا ان علامة الرجحان عمود من نور يثور من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيآت وعلامة الخفة عمود ظلمة يثور من كفة السيآت حتى يكسو كفة الحسنات فالكيفيات أربع وستظهر حقيقة الحال بالعيان وهو قال القرطبي لا يكون في حق كل أحد لما في الحديث الصحيح فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن الحديث وأحرى الانبياء عليهم السلام وقوله سبحانه يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام وانما يبقى الوزن لمن شاء الله تعالى من الفريقين وذكر القاضي منذر بن سعيد البلوطي أن أهل الصبر لاتوزن أعمالهم وانما يصب لهم

الاجر صبا والظاهر أنه يدرج المنافق في الكافر والحق أن أعمالهم مطلقا توزن لظواهر الآيات والاحاديث الكثيرة والمراد في الآية وزنا نافعا والصحيح ان الجن مؤمنهم وكافرهم كالانس في هذا الشأن كما قرر في محله والتقسيم فيما نحن فيه على ماسمعت عن القرطبي بالنسبة الى من توزن أعماله لابالنسبة الى الناس مطلقا وأنكر المعتزلة الوزن حقيقة وجماعة من أهل السنة والجماعة منهم مجاهد والضحاك و الاعمش قالوا ان الاعمال أعراض ان أمكن بقاؤها لا يمكن وزنها فالوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وجوزوا فيما هنا أن تكون الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وأن معنى ثقلها رجحانها وروى هذا عن الفراء أى فمن ترجحت مقادير حسناته ورتبها ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ المشهور جعل ذلك من باب النسب أى ذات رضا وجوز ان تكون راضية بمعنى المفعول أى مرضية على التجوز في الكلمة نفسها وأن يكون الاسناد مجازيا وهو حقيقة الى صاحب العيشة وجوز ان يكون في الكلام استعارة مكنية وتخييلية على ماقرر في كتب المعاني لكن ذكر بعض الاجلة ههنا كلاما نفيسا وهو أن ماكان للنسب يؤول بذى كذا فلا يؤنث لانه لم يجر على موصوف فالحق بالجوامد ونقل عن السيرا فى انه قال يقدح فيما علاوا به سقوط الهاء في عيشة راضية وفيه وجهان أحدهما أن تكون بمعنى انها راضية أهلها فهى ملازمة لهم راضية بهم والآخر أن تكون الهاء للمبالغة كعلامة وراوية ووجه بان الهاء لزمت لئلا تسقط الياء فيخل بالبنية كناقة مشلية وكلبة مجربة وهم يقولون ظبية مطفل ومشدان وباب مفعل ومفعال لايؤنث وقد ادخلوا الهاء فى بعضه كمصكة انتهى ثم قال ان هذا حقيق بالقبول ومحصله الجواب بوجوه أحدها ان راضية هنا فيه ليس من باب النسب بل هو اسم فاعل أريد به لازم معناه لان من شاء شيئاً ورضى به لازمه فهو مجاز مرسل أو استعارة ويجوز ان يراد أنه مجاز في الاسناد وما ذكر بيان لمعناه الثاني ان الهاء للمبالغة ولا تختص بفعال ولذا مثل براوية أيضاً والثالث أنه يجوز الحاق الهاء في المعتل لحفظ البنية ومصكة اما شاذا والتشبيه المضاعف بالمعتل انتهى فاحفظه فانه نفيس خلا عنه أكثر الكتب ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُ﴾ أى فمأواه كما قال ابن زيد وغيره ﴿هَاوِيَةٌ﴾ أريد بها النار كما يؤذن به قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن المعهود للتفخيم والتهويل وذكر أن اطلاق ذلك عليها لغاية عمقها وبعد مهواها فقد روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفا وخصها بعضهم بالباب الاسفل من النار وعبر عن المأوى بالام على التشبيه بها فالام مفزع الولد ومأواه وفيه تهكم به وقيل شبه النار بالام في انها تحيط به احاطة رحم الولد بالام.وعن قتادة وأبى صالح وعكرمة والكلبي وغيرهم المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وفي رواية أخرى عن قتادة هو من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا ومن ذلك قول كعب بن سعد الغنوى

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ✡ وماذا يرد الليل حين يؤب

وفى الكشف ان هذا أحسن ليطابق قوله سبحانه فى عيشة راضية وما فيه من المبالغة وقال الطيبى أنه الاظهر وللبحث فيه مجال والضمير أعنى هي عليه الداهية التى دل عليها الكلام وعلى ما قدمنا لهاوية وعلى الوجه الثانى لما يشعر به الكلام كأنه قيل فأم رأسه هاوية فى نار وما أدراك ماهيه الخ والهاء الملحقة في هيه هاء السكت وحذفها في الوصل ابن أبى اسحق والاعمش وحمزة وأثبتها الجمهور ورفع نار على انها خبر

مبتدا محذوف أى هى نار وحامية نعت لها وهو من الحمى اشتداد الحر قال في القاموس حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وجعله بعضهم على ماقيل من حيث القدر فهى محمية ففسره بذات حمى وهو كما ترى وقرأ طلحة فامه بكسر الهمزة قال ابن خالويه وحكى ابن دريد أنها لغة وأما النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة أو ياء والله تعالى أعلم

تفسير سورة القارعة

وهي مكية بإجماع. وهي عشر آيات(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾.

[٢] ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾.

[٣] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾.

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ أي القيامة والساعة؛ كذا قال عامة المفسرين. وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها. وأهل اللغة يقولون: تقول العرب قَرَعَتْهُمُ القارعة، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة؛ إذا وقع بهم أمر فظيع. قال ٱبن أحمر:

وقـــارعـــةٍ مِـــنَ الأيـــام لَـــوْلاَ ... سبيلهم لزاحت(٢) عنك حِينا

وقال آخر:

مَتَى تَقْرَعْ بمَرْوتِكُم(٣) نَسُؤْكُمْ ... ولـم تُـوقَـدْ لَنَا في القِـدْرِ نَـارُ

وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِما صنعوا قارِعة﴾(٤) وهي الشديدة من شدائد الدهر.

قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ استفهام؛ أي أيّ شيء هي القارعة؟ وكذا ﴿وما أدراك ما القارِعة﴾ كلمة ٱستفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشأنها؛ كما قال: «الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة» على ما تقدّم(٥).

---

(١) في كتاب «روح المعاني»: وآيها إحدى عشرة آية في الكوفي، وعشر في الحجازي، وثمان في البصري والشامي.

(٢) في بعض النسخ: «لراحت» بالراء.

(٣) المروة: حجر يقدح منه النار.

(٤) آية ٣١ سورة الرعد.

(٥) راجع ٢٥٧/١٨.

[٤] ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝﴾.

﴿يوم﴾ منصوب على الظرف، تقديره: تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث. قال قتادة: الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج. الواحدة فراشة، وقاله أبو عبيدة. وقال الفراء: إنه الهَمَج الطائر، من بَعوض وغيره؛ ومنه الجراد. ويقال: هو أطيش من فراشة. وقال:

طُوَيِّشٌ مِنْ نفرٍ أطْياشِ أطيشُ من طائرة الفَراشِ

وقال آخر:

وقدْ كانَ أقوامٌ رددتَ قلُوبَهُمْ إليهم[١] وكانوا كالفَراشِ من الجَهْلِ

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، قال قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثَلُكُمْ كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادِبُ والفَراشُ يَقَعْن فيها، وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخُذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتمْ تُفْلِتونَ مِنْ يَديِ». وفي الباب عن أبي هريرة. والمبثوث المتفرق. وقال في موضع آخر: ﴿كأنَّهُمْ جراد منتشِر﴾[٢]. فأوّل حالهم كالفَراش لا وجه له، يَتَحَيَّرُ في كل وجه، ثم يكونون كالجراد، لأن لها وجهاً تقصده. والمبثوث: المتفرق المنتشر. وإنما ذكر على اللفظ: كقوله تعالى: ﴿أعجازُ نخلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٣] ولو قال المبثوثة [فهو][٤] كقوله تعالى: ﴿أعجاز نخلٍ خاوِيَةٍ﴾[٥]. وقال ابن عباس والفراء: ﴿كالفراشِ المبثوثِ﴾ كغَوغاء الجراد، يركب بعضها بعضاً. كذلك الناس، يجول بعضهم في بعض إذا بعثوا.

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝﴾.

أي الصوف الذي يُنفش باليد، أي تصير هباء وتزول؛ كما قال جل ثناؤه في موضع آخر: ﴿هَبَاءً مُنْبَثاً﴾[٦]. وأهل اللغة يقولون: العِهن الصوف المصبوغ. وقد مضى في سورة ﴿سألَ سائلٌ﴾[٧].

---

(١) في بعض النسخ: «عليهم». (٢) آية ٧ سورة القمر. (٣) آية ٢٠ سورة القمر.
(٤) الزيادة من تفسير ابن عادل يقتضيها السياق. (٥) آية ٧ سورة الحاقة.
(٦) آية ٦ سورة الواقعة. (٧) راجع ١٨/ ٢٨٤.

[٦] ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ ﴾.

[٧] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

[٩] ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ﴾. [١١] ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾.

قد تقدم القول في المِيزان في ﴿الأعراف والكهف والأنبياء﴾[1]. وأن له كِفَّةً ولساناً توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات. ثم قيل: إنه ميزان واحد بيد جبريل يزِن أعمال بني آدم، فعبَّر عنه بلفظ الجمع. وقيل: موازين، كما قال:

فلِكلِّ حادِثةٍ لَهَا مِيزانُ[2]

وقد ذكرناه فيما تقدم[3]. وذكرناه أيضاً في كتاب «التذكِرة» وقيل: إن الموازين الحُجَج والدلائل، قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد بقول الشاعر:

قَدْ كُنتُ قبلَ لقائكم ذا مِرَّةٍ عِندِي لكُلِّ مخاصِمٍ مِيزانُهُ

ومعنى ﴿عِيشةٍ راضِيةٍ﴾ أي عيش مَرْضيّ، يرضاه صاحبه. وقيل: ﴿عشيةٍ راضِيةٍ﴾ أي فاعلة للرضا، وهو اللين والانقياد لأهلها. فالفعل للعيشة لأنها أعطت الرضا من نفسها، وهو اللين والانقياد. فالعيشة كلمة تجمع النِّعَم التي في الجنة، فهي فاعلة للرضا، كالفُرُش المرفوعة، وٱرتفاعها مقدار مائة عام، فإذا دنا منها ولِي الله ٱتضعت حتى يستوي عليها، ثم ترتفع كهيئتها، ومثل الشجرة فرعها، كذلك أيضاً من الارتفاع، فإذا ٱشتهى ولِيُّ الله ثمرتها تدلت إليه، حتى يتناولها ولِيّ الله قاعداً وقائماً، وذلك قوله تعالى: ﴿قُطُوفُها دَانِيةٌ﴾[4]. وحيثما مشى أو ينتقل من مكان إلى مكان، جرى معه نهر حيث شاء، عُلُوًّا وسُفْلاً، وذلك قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرونها تَفْجِيراً﴾[5]. فيروى في الخبر «إنه يشير بقضيبه فيجري من غير أخدود حيث شاء من قصوره وفي مجالسه». فهذه الأشياء كلها عيشة قد أعطت الرضا من نفسها، فهي

(١) راجع ٧/١٦٥ وما بعدها. و ١١/٦٦ و ٢٩٣. (٢) صدر البيت:

ملك تقوم الحادثات لعدله

(٣) راجع ١١/٢٩٣. (٤) آية ٢٣ سورة الحاقة. (٥) آية ٦ سورة الإنسان.

فاعلة للرضا، وهي أنذلت وأنقادت بذلاً وسماحة. ومعنى ﴿فأمه هاوِية﴾ يعني جَهَنّم. وسماها أُمًّا، لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه، قاله أبن زيد. ومنه قول أمية بن أبي الصَّلْت:

فالأرضُ مَعْقِلنا وكانتْ أُمَّنا فيها مَقابِرُنا وفيها نُولَدُ

وسميت النار هاوية، لأنه يهوِي فيها مع بعدِ قعرها. ويروى أن الهاوية أسم الباب الأسفل من النار. وقال قتادة: معنى ﴿فأمه هاوِية﴾ فمصيره إلى النار. عكرمة: لأنه يهوى فيها على أم رأسه. الأخفش: ﴿أمه﴾: مستقرّه، والمعنى متقارب. وقال الشاعر:

يا عمرُو لو نالتك أرماحُنا كنتَ كمن تهوِي به الهاوِيَهْ

والهاوية: المَهْوَاة. وتقول: هَوَتْ أمّه، فهي هاوية، أي ثاكلة، قال كعب بن سعد الغَنَوِيّ:

هَوَتْ أُمُّه[1] ما يبعثُ الصبحُ غادياً وماذا يؤدِّي الليلُ حين يَئُوبُ

والمَهْوَى والْمَهْوَاة: ما بين الجبلين، ونحو ذلك. وتهاوَى القوم في المَهْواة: إذا سقط بعضهم في إثر بعض. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾ الأصل «ما هي» فدخلت الهاء للسكت. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابن مُحيصِن ﴿مَا هِيَ نارٌ﴾ بغير هاء في الوصل، ووقفوا بها. وقد مضى في سورة ﴿الحاقة﴾[2] بيانه. ﴿نار حامِية﴾ أي شديدة الحرارة. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة: أن النبيّ ﷺ قال: «نارُكم هذه التي يُوقِد آبنُ آدم جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرّها». وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: إنما ثقل ميزان من ثقل ميزانه، لأنه وضع فيه الحق، وحُقَّ لميزان يكون فيه الحق أن يكون ثقيلاً. وإنما خف ميزان من خف ميزانه، لأنَّه وضع فيه الباطل، وحق لميزان يكون فيه الباطل أن يكون خفيفاً. وفي الخبر عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «أن الموتى يَسألون الرجل يأتيهم عن رجل مات قبله، فيقول ذلك مات قبلي، أما مرَّ بكم؟ فيقولون لا والله، فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون! ذُهِب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأمّ، وبئست المُربية». وقد ذكرناه بكماله في كتاب «التذكرة»، والحمد لله.

---

(١) البيت في «اللسان»: (أمم). (٢) راجع ١٨/٢٦٩.